وجدت فحسب وحدات او بنى اجتماعية ـ اقتصادية متعددة لكل منها نمطها الاقتصادي الخاص ، اي اسلوب وعلاقات انتاج مختلفة وطبيعة اجتماعية مختلفة • كما كان لكل نموذج او نمط اقتصادي تركيبه الاجتماعي الخاص به والمستقل نسبيا • وتبعا لدرجة تطور النموذج المعين كانت تتحدد سمات فئاته وطبقاته الاجتماعية ، اي درجة نضج هذه الطبقات ومدى تمايزها وتناحرها • كما كانت لكل نموذج تناقضاته الاجتماعية الاصيلة والمتميزة عن التناقضات الاجتماعية في النماذج الاخرى • ويتبين من العرض المقدم آنفا انه ليس صحيحا الزعم القائل ان الطبقات لم تتشكل قبيل نشوء الدولة ـ الادارة المركزية في الاردن ، وانما تشكلت الطبقات بعدها وبسببها (٧٣) •

لقد نشأت الطبقات والفئات الاجتماعية في معظم المناطق الريفية في البدءات الحضرية كما برزت التمايزات الاجتماعية داخل الجماعات ذات الاقتصاد المختلط (الرعوي ـ الزراعي) وحتى لدى العديد من القبائل الرعوية قبيل الحرب الاولى • المشكلة ليست فيما اذا تشكلت الطبقات والفئات الاجتماعية في مناطق شرقي الاردن قبيل الحرب الاولى أم لا • فقد تشكلت فعليا في مناطق معينة وبدأت اجنة التمايز الاجتماعي لدى مناطق وجماعات اخرى • بل المشكلة ان الطبقات والفئات الاجتماعية قد تشكلت وتتشكل ، وتمايزت وتتمايز ، لا على مستوى البلاد والمجتمع كطبقات وفئات اجتماعية اقليمية • فذلك لم يكن ممكنا تاريخيا ، لان البلاد والمجتمع لم يظهر اي منهما من قبل كوحدة عضوية واحدة ولم ينشأ الاساس المادي لهذه الوحدة • فمن التعسف الحديث عن تشكل او عدم تشكل طبقي اقليمي في بقعة لم تعرف وحدتها الاقليمية بالمعنى الاقتصادي ـ الاجتماعي • وانما تشكلت الطبقات والفئات الاجتماعية ، او ظاهرة التبرقش الطبقي ، وتعني بذلك وجود مجموعة فئات وطبقات خاصة ، بكل نمط من الانماط الاقتصادية السائدة في مناطقها •

يضاعف من صعوبة تمييز وفرز مختلف الفئات الاجتماعية والطبقية ، ليس فقط وجود جملة من الانماط الاقتصادية ، وانما بشكل رئيسي لان المجموعات الاجتماعية المختلفة بانماطها الطبيعية ما قبل الرأسمالية تشترط وجود روابط اجتماعية تقليدية فيما بينها كروابط الدم والقرابة والانتماء القبلي والعشيري ، وروابط اقل اهمية : دينية ، اقلياتية ، فهذه الروابط غير الطبقية ظلت تحدد العلاقات فيما بين الناس ، بقدر اقل او اكثر مما كانت الروابط الطبقية تحددها • اي انه لا مجال للحديث عن اساس طبقي صرف للعلاقات داخل الجماعات الاجتماعية ـ الاقتصادية المختلفة •

---

(٧٣) نجد هذا الاعتقاد حتى عند كاتب جاد • راجع : جميل هلال ، الضفة الغربية، التركيب الاقتصادي والاجتماعي ، مركز الابحاث بيروت ١٩٧٥ •